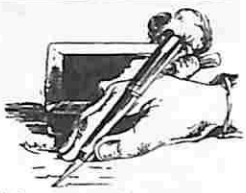

خمش الهرة

دخلت المدرسة في الصباح الباكر كعادتي، وبينما كنت متوجها نحو مكتبي، إذا برهط من طلاب الصف الأول يتدافعون، ويتسابقون، وقد ضاقت صدورهم ذرعا بأهم أخبار اليوم، تكلموا جميعا في وقت واحد، لم أفهم شيئا سوى كلمة «هرة» بسبب الجلبة التي أحدثتها وكالات أنبائهم المضطربة.

وصلت إلى المكتب وهم يشكلون دائرة حولي، بعضهم يكرر الخبر، وبعضهم الآخر يقسم ويحلف ظنا منه أنني لم أصدق ما يقول، وهم يظنون أنني - لا محالة - سأتخذ إجراء تأديبيا بحق الهرة الشكسة التي نالت من بشرة محمد البيضاء، المشربة بالحمرة، وربما أمرت بإلقاء القبض عليها، وحبسها في المدرسة ليتمتعوا بقية اليوم بمنظر الهرة المعاقبة.

مع رنين جرس الاصطفاف الصباحي تفرق الرهط بالطريقة نفسها التي اجتمعوا بها. لم يمض وقت طويل حتى وقعت عيناي عليه، يا إلهي إنه يحك رأسه حكا شديدا، حتى ليكاد الدم يتفجر من عروق رأسه ليجري على صفحات زنديه اللذين ظهرا كأوراق شقائق النعمان.

ناديت محمدا واصطحبته معي إلى المكتب. ما بك يا بني ؟ لماذا تحك رأسك ؟ لقد خمشتني الهرة... نعم الهرة يا أستاذ. وهل خمشت رأسك أيضا ؟ نعم يا أستاذ هرتنا غضوب جدا. وقد آذت أختي الصغيرة أيضا. قلت: حمدا لله على سلامتك، اذهب إلى صفك، واحضر إليّ في الفسحة الأولى لأعطيك علاجا يخفف عنك الألم. قال : ستعطيني مرهما أم شرابا ؟ شكرا لك يا أستاذ فأنا عندي علاج في المنزل. استغربت حقا من وجود علاج يشفي من خمش القطط. وعندما اتصلت بأبي محمد وقد حدثته عن هذا المرض، قاطعني قائلا : « يا أستاذ ليس عندي في المنزل هرة ولا غيرها من الحيوانات، محمد عنده فرط تحسس جلدي، لقد كان يعاني هذا المرض مذ كان في سنيه الأولى. لكنه في المساء كان قلقا من ردود أفعال زملائه ومعلميه في الفصل على شدة حكه الذي لا يملك له ردا ولا دفعا، وقال : إنه يخاف أن يقولوا له: جربان.

من أجل ذلك قرر محمد على عجلة من أمره - وربما في الليلة التي لم تغمض عيناه فيها - أن يكمل جميع فصول المسرحية التي نسجها بخيوط إحساسه المرهف، وخيال طفولته البريئة.

ومع رنين جرس الفسحة الأولى حضر محمد فأجلسته وقلت له : يا بني أنت طالب مجد وذكي والطالب الذكي ينبغي أن يكون شجاعا فكنت أتمنى منك أن تخبرني بالتحسس الجلدي الذي تعاني منه، وهذا ليس معيبا، فالتحسس شأنه شأن الزكام الذي أعاني منه أنا اليوم، ومع ذلك لا أتحرج منه. فنحن في المدرسة أشبه بالأسرة فينبغي أن نواجه مشكلاتنا بجرأة ووضوح، والصراحة مزية طيبة، فهل تعاهدني يا بني على أن تكون صريحا وواضحا ؟ فقال : أعاهدك يا أستاذ.

خرج محمد وقد تأثر بسبب الرواية الموضوعة التي نقلها إلينا، ولكنه تزود بقيمة عظيمة من جراء هذا الموقف خباها في نفسه ديدنا ومبدأ، ورحم الله قائل المثل العربي «رب ضارة نافعة».

بقلم: بدر الحسين - -سورية

ورق..

(١)

الطابق العاشر بعد الطابق الأخيرْ
لا بد أن أقابل المديرْ...
في البدء كانت ورقةْ
أحملها بمنتهى الثقةْ
أدفع عني سطوة الشمس بها
أو أبعد الذبابة المقلقةْ
أرفعها تحية للأصدقاء في مرح
فيسألون في فضولْ
لكنني أقولْ
«ليست سوى ورقةْ»
... علمت فيما بعد أنني جهولْ

(٢)

الطابق العشرون بعد الطابق الأخيرْ
«معذرة سيدتي.. هل تعلمين أين مكتب المديرْ؟»
في البدء كانت مصلحةْ
أوقفني ببابها شيخٌ
ثيابه ورقْ
وفوقها مرسومة بالحبر ربطة العنقْ
«يا ولدي.. خذ من (أخيك) حكمة صالحةْ
لا يعرف الوصول من لا يعرف الأملْ
فانزع عباءة المللْ
واقرأ على أوقاتك الفاتحةْ
يا ولدي
رياضتان لا غنى للمرء عنهما